العشبة

مسرحية للفتيان

سلسلة حكايات شعبية ممسرحة

2

العشبة

مسرحية للفتيان

هيثم بهنام بردى

المسرحية الفائزة بالجائزة الثانية
لمسابقة دار ثقافة الأطفال
جائزة (عزي الوهاب) للمسرح
لعام ٢٠١٠

اسم الكتاب: العشبة

جنسه: مسرحية للفتيان

اسم المؤلف: هيثم بهنام بردى

لوحة الغلاف والرسوم الداخلية: عمر طلال حسن

التصميم والإخراج الفني : نادر عولو

الكومبيوتر: بسام شرم

الطبع: مطبعة الديار– نينوى/ العراق

الطبعة الأولى: ٢٠١٣

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق رقم ( ) لسنة ٢٠١٣

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

على سبيل التقديم

قراءة في مرجعيات مسرحية
العشبة
لهيثم بهنام بردى

م . د فرح أدور حنا[♦]
جامعة الموصل/ كلية التربية/ الحمدانية

مدخل نظري :-

يمكن وصف العلاقة القائمة بين الموروثات بأنواعها وأشكالها كافة– وبين الفن المسرحي، أنها علاقة تأصيلية قديمة – حديثة، ذلك أن الحمولات التراثية شكلت مصدراً ثرّاً للتأليف والتطويع الدرامي، نظراً لما تحتويه من مؤهلات وكفاءة درامية تجيز لها الولوج وبمشروعية متميزة – إلى منطقة (التمسرح). فالموروث سواء أرسمياً موثقاً كان أم شعبياً مروياً، فانه يمتلك خاصية التحوير

[♦] **بحث بعنوان (ثراء الموروث وإغراء التمسرح- قراءة في جماليات التوظيف والتشكيل في مسرحية العشبة لهيثم بهنام بردى) قدُم من قبل الباحث م.د. فرح أدور حنا ضمن فعاليات الحلقة الدراسية الثالثة حول "دور السريان في الثقافة العراقية"- دورة سليمان الصائغ، التي أقامتها المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية في عنكاوا للفترة من ٢٠ ولغاية ٢٢/ تشرين الثاني/٢٠١٢.**

الدرامي، ولا سيما ما يتعلق منه بالذاكرة الفولكلورية الجمعية للشعوب أو ما يتصل منه بعموم التعبير المثيولوجي بما يضمه من حكايات ومسرودات شعبية خرافية أو قصص غرائبية أو سير تاريخية، "فالعلاقة بين المسرح والتراث علاقة سحرية أخاذة وهي علاقة أبهرت (المؤلفين كلهم) وسحرتهم وجعلتهم في كل مرة يقفون على تراث الآباء والأجداد ويعيدون إنتاجه في حلل جديدة، وبأسلوب حضاري مميز" [1] فاستدعاء التراث ومحاولة تقديمه في نص معاصر، يفترض به أن يكون استدعاء إبداعياً خلاقاً، بمعنى انه يقدم قراءة جديدة للمورث تنسجم مع المنظور المعاصر للبنى الفكرية والاجتماعية والسياسية، وما تفرضه من تحولات على الأصعدة كافة، وإلاّ لأضحت العملية التناصية مجرد استنساخ حرفي لا قيمة له، لان الأصل الأول القديم أبقى واصدق.

لقد استوحى هيثم بردى في هذا النص، طقساً أسطورياً، يحمل في جذوره قدسية من نوع خاص تجعله يرتقي إلى مصاف النصوص القومية المعبرة عن هوية أمة وثقافة عاشت في بلاد مابين النهرين لان شخصياته من الملوك والآلهة وثيماته فكرية عميقة تدور حول قضية (الموت – الحياة) وبالرغم من ذلك كله فقد قدمه في قالب درامي بسيط في تركيبه، مسكون بشعبية ومحلية مفرطة، فضلاً عن اعتماده الوضوح القصدي والتشويق المتقد والعفوية السلسة التي تنسجم مع طبيعة متلقيه الخاصة جداً (الفتيان)، إذ هو متلقٍ تواق إلى محاكاة عالم الأحلام والخيال والتحليق بعيداً في جو من المغامرات والتحديات الشيقة وتقمص دور الأبطال الخارقين، إلى غير من مواصفات المتخيل المثيولوجي المحتشد بتشخيص ترميزي كثيف، يعكس معه، المعنى الأصلي للأسطورة القائم على"سذاجة التفكير والتأمل الخيالي الدال على خواء في الفكر

البشري، ولعل ما يؤيد هذه الرؤية أن شخصيات الأسطورة غالباً ما تقدمهم الحكايات في صورة أبطال والهة "[٢]، لذا غدت أهم مشكلة تواجه الكاتب عند عودته إلى مادة الأساطير، هي مدى ملاءمتها للتعبير عن الواقع الخاضع للقياس والتجربة، لان الأسطورة " كالحلم تعرض قصة تحدث في المكان والزمان، قصة تعبر باللغة الرمزية عن الأفكار الدينية والفلسفية وعن تجارب الروح التي تكمن فيها الدلالة الحقيقية للأسطورة "[٣]. من ثم فلامناص من التعامل معها من زاوية تدليلها الرمزي، للإشارة من داخل الأسطورة إلى خارجها، وبغض النظر عن طبيعة وهوية هذا (الخارج) لأن جملة الروايات الأسطورية تشترك " بطابع وظيفي ثابت، ندرك ملامحه في كل المجتمعات، فكأن الأساطير تمثل وسائل يعبر بها الناس لأنفسهم عن سلسة من المثل العليا المشتركة بينهم "[٤].

إختار البحث مسرحية (العشبة) لهيثم بهنام بردى بوصفها عينة إجرائية منتخبة وملائمة لشغل مساحة التطبيق كونها تحاكي الأسلوب الأمثل في التعاطي مع الموروث والتفاعل معه، ولا سيما المثيولوجي منه، فهي تختزل ذاكرة ثقافية شعبية متعددة ومتنوعة، وتعيد إنتاجها بشكل يتواءم من حداثة المنظور الفكري للتلقي وخصوصية التجنيس معتمدة في ذلك على خلق فضاء توسيعي لتعالق نصي متعدد يمتد عبر قنوات استنطاق لمحكيات مختلفة إذ تمكن الكاتب من خلق مصاهرة فنية متينة بين جملة من الموروثات، مزج فيها بين الأسطوري والشعبي والديني وبين الحكاية والخرافة والمثل وغيرها، فالنص ارتكز أساساً على السرد الأسطوري لملحمة (جلجامش) وتحديداً رحلة البحث عن الخلود الذي قام بها (جلجامش) ومحاولة اللقاء مع رجل الطوفان

(أوتنابشتم)، فضلاً عن تطعيمه بمرويات شعبية وحكايات خرافية وروايات دينية، أسهمت هي الأخرى بتدعيم البناء الدرامي للنص، إذ شكلت هذه الحكايات، حبكات ثانوية مثلت كل منها وحدة بنائية مستقلة لكنها في الوقت نفسه تعد لبنة أساسية في البناء العام الموحد وستتم مقاربة هذا الموضوع في محورين:

المحور الأول: مرجعيات العتبة.

لا يتأسس النص الإبداعي على خواء ثقافي، بل لا بد له من الاتكاء على تراكم معرفي وخبرة قرائية متجذرة في ذهنية المنتج، يسمحان له بإعادة إنتاج المعرفة وفق معطيات وحيثيات متحولة ورؤى متجددة، ومن ثم إعلانها داخل منظومة نصوصية قابلة للتجنيس المنفرد أو المهجن، عبر أنظمة لغوية أو عبر لغوية. وذلك حسب طبيعة النص التشكيلية. فالنص الإبداعي لا يتأتى من إفرازات المخيلة الآنية المحضة حسب، بل لا بد له من ذاكرة تعاضده بكل ما تحمله من استدعاءات ماضوية، فردية أو جماعية معاشة أو مقروءة في سبيل الوصول إلى أعلى درجة ممكنة ومعقولة في استقلالية النص عن غيره. لأن النص – حسب جوليا كرستيفا – لا يكوّن تنظيماً جديداً، لأنه في الأصل عبارة عن مجموعة نصوص سابقة تكون مع بعضها ما يمكن أن نسميه نصاً جديداً [٥].

تظهر أول إشارة إلى مرجعيات النص، في الصفحة الأولى – بعد الغلاف، إذ يقدم الكاتب فيها ثلاثة موجهات قرائية تعمل مجتمعة على إضاءة القارئ بطبيعة هذا النص كما تعطيه إيحاء أولياً بهوية النصوص الغائبة التي اعتمد عليها، فالموجه القرائي الأول هو تحديد الكاتب للمادة الدرامية الخام التي استقى منها نصه المسرحي وهي الحكايات الشعبية، إذ يقدمها في صيغة الجمع " حكايات شعبية ممسرحة " [٦]، توحي هذه العتبة بان الكاتب سيلج منطقة

وعـرة في اقتنـاص المـادة الداميـة وإعـادة تـشكيلها وفـق آليـة (التمـسرح) لأنـه سيضطر إلى إخضاع المحكـي / المـروي الـشعبي لتقانـات دراميـة معاصـرة الأمـر الـذي يتطلـب دربـة عاليـة وكفـاءة تأليفيـة كـبيرة لتحويـل نـسق (الفعـل) مـن المحكي إلى المجسد.

أمـا الموجـه القرائـي الثـاني ، فهـو عتبـة العنـوان "العـشبة" [٧]، إذ يحيـل هـذا العنـوان بـصيغته التركيبيـة مـع أل التعريـف – إلى نـوع مـن التعاقـد الميثـاقي بينـه وبـين القـارئ، فهـذه الكلمـة تـشير إلى دالـة (الخلـود) المجتلبـة مـن العمـق الـزمني للتراث ومن التكوين الثقافي للقارئ، إذ ترسـخ في ذاكرتـه الفولوكلوريـة مـدلول (العشبة) أو (النبات) الذي يمنح الخلود والتجدد الـدائم حسب الموروث الحكـائي لملحمـة (جلجـامش). كمـا يـشير الموجـه القرائـي الثالـث " مـسرحية للفتيـان [٨] " – فـضلاً عـن الجنس الأدبـي – إلى نوعيـة وطبيعـة متلقـي هـذا الـنص، ويبـدو لـي أن تحديد هذه الفئة العمرية، يدفع بطريقة أو بأخرى إلى توقع بعض خواص النص، ومـن بينهـا اعتمـاده علـى وقـائع وأحـداث وشخـصيات مـشوقة ومـسلية، وتـضمينه لعوالم خيالية وأجواء سـاحرة تغـري قارئـه (الفتـى) بالمتابعـة والترقـب الـدائم. ومـن ثم الوصول إلى نتيجة مفادها إن أفضل طريقة لإقامـة وبنـاء مثل هـذه الفضاءات، تكون بالاسـتناد إلى مـادة تراثيـة تزخـر بالحكـايات الـشعبية القديمـة والأسـاطير والخرافات والكـائنات الغريبة والعـوالم العجائبيـة كـذلك نـرجح أن يكـون هـذا الموجه القرائي علامة من علامات تحديد مرجعية النص.

المحور الثاني: مرجعيات النص.

يمكـن تحديد أهم مرجعيات هـذا الـنص، بنـاء علـى جنس المـادة التراثيـة المرجـوع إليها ويمكـن إجمالها فيما يأتي:

١- **الأسطورة :**

يمارس هيثم بردى مع أسطورة (جلجامش) – إذا صح التعبير – انزياحاً انتقائياً مع النص الغائب (الملحمة) فهو ينتقي واحداً من أهم مفاصلها لينزحاح عنه في نص معاصر، مدركاً حتمية إخضاع الأسطورة الأولى " لتعديل يجريه الشاعر والأديب حتى يلائم بينها وبين موقفه ونظرته [٩] "، فهو يستعير الحدث الرئيس من الملحمة وهو (رحلة البحث عن الخلود) ويجعله برنامجاً سردياً لنصه الدرامي إلاّ أنه يخالف وينزاح عن الثيمة الأساسية للنص الأسطوري (حتمية الموت ووهم الخلود) وهي ثيمة أولى من مفردات التفكير البشري، تنتمي إلى نظام الأنماط والتصورات الأولى (التايبولوجيا) نحو ثيمة معاصرة تحمل جمالاً فكرياً وهدفاً أخلاقياً وتربوياً وتعليمياً مثمراً، ينسجم مع قصدية مسرح الصغار. وهي (الجمال الحقيقي يكمن في داخل الإنسان وليس خارجه) وهي نتيجة يتوصل لها التلميذ في نهاية المسرحية:

التلميذ: علمتني قصتك انه لا يصح إلاّ الصحيح، ولا يمكن أن تسود إلاّ العدالة والجمال ليس بالظاهر بل بالجوهر[١٠]

فالنص الدرامي يخرج بالثيمة من قدسيتها في الملحمة وينزاح بها نحو رؤية عصرية واقعية تعليمية بسيطة واضحة مترشحة من ثنايا النص، فالانزياح لا يقتصر على " تغيير الأدوات القديمة بأدوات جديدة وحسب انه يشمل الفكرة ذاتها ، " [١١] فالنصان مخالفان لبعضهما في (الثيمة) فضلاً عن مخالفتهما لمكونات أخرى، كأسماء الشخصيات والحوادث الثانوية وأسماء الأمكنة وطبيعة الحبكة وكذلك بالتأكيد – مستوى التحاور بين الشخصيات وذلك لانتماء النصين إلى زمانين متباعدين جداً عن بعضهما.

تحمل طبيعة التناص الماثل بين النص الحاضر (العشبة) والنص الغائب (جلجامش) خصوصية. فالتعالق بينهما تعالق مشهدي عام حرص فيه الكاتب على التماهي مع الحدث الدرامي المهيمن والمنظم لجميع الأفعال المنتجة داخل المدونة الحكائية في عملية إدامة التواصل بين النصين، بمعنى أن مسرحية العشبة تماثل النص الأسطوري الأصل في البناء التنظيمي العام، لكنها تخالفه في بناء الوحدات الصغرى. فالنصان متفقان على محور (الرغبة). إذا يسعى الفاعل فيهما جلجلمش / الصبي إلى تحقيق الموضوع / المفعول به وهو الحصول على نبات الخلود / العشبة، ولكن الدافع أو المرسل الذي يقف وراء كل رغبة، مختلف تماماً في النصين، فجلجلمش يريد (نبات الخلود) لنفسه أي أن المرسل لديه هو نفسه، أما الصبي فأنه يريد (العشبة) لامه كي تشفى من مرضها، فالمرسل في الأول ذاتي / أناني بينما الثاني موضوعي / إيثاري. وهذا ما يصرح به (جلجامش) بقوله:

- **لقد أفزعني الموت حتى همت عن وجهي في الصحارى.**
- **إن النازلة التي حصلت بصاحبي تقض مضجعي.**
- **آه، سأضطجع مثله فلا أقوم أبد الآبدين.**
- **والآن يا صاحبة الحانة.**
- **ها أنا أطيل النظر إلى وجهك.**
- **أيكون في وسعي إلاّ أرى الموت الذي أخشاه وأرهبه؟** (١٢).

أما المرسل لدى الفاعل / الصبي فأنه يتضح في هذا الحوار.

الصبي: أرجوك أيتها الجدة العجوز أشيري علي بأي شيء لن أتردد بإتيانه

الحكيمة العجوز: (تقاطعه) عشبة الحياة.....

الصبي: ماذا؟

الحكيمة العجوز: لن تسترد عافيتها ألاّ بعد أن تتناول عشبة الحياة.

الصبي: (باندفاع) وأين أجدها.....؟ [١٣]

أن الاختلاف بين الفاعلين في القدرة عن تحقيق (الفعل) واضح، فالفاعل في النص الأسطوري يمتلك كل مؤهلات القدرة والانجاز، فهو أولاً ملك أوروك لديه مطلق السلطة والنفوذ والسيطرة كما انه يمتلك قوة الآلهة لان ثلثيه إله وثلثه الآخر إنسان، وهو العارف بكل شيء والذي أبصر الأسرار وأنبأ بالطوفان وبنى الوركاء... الخ من المواصفات الخارقة التي تمكنه من تحقيق رغبة الذاتية.

من ذا الذي يضارعه في الملوكية

ومن غير جلجامش من يستطيع أن يقول: أنا الملك؟

ومن غيره سمي جلجامش ساعة ولادته،

ثلثاه إله وثلثه الباقي بشر [١٤].

أما الفاعل في نص العشبة، فانه لا يمتلك أية قدرات واضحة على انجاز هذا الفعل الكبير سوى أنه يتسلح بمعرفة منقولة من العامل المساعد / الجدة العجوز على شكل نصائح وإرشادات وتوجيهات، والتي ستتحول إلى وسائل معينة في انجاز الرغبة لان الصبي أدرك أهميتها وقيمتها في الحياة.

الحكيمة العجوز: (بفرح) حسناً يا ولد.... عليك أن تتسلح بالحكمة.

الصبي: حكمة سليمان الحكيم.

الحكيمة العجوز: والصبر.

الصبي: صبر أيوب.

الحكيمة العجوز: والحيلة.

الصبي: حيلة ابن آوى.

الحكيمة العجوز: والشجاعة.

الصبي: شجاعة الأسد [١٥].

يضع هيثم بردى في نهاية مسرحيته، مفارقة تناصية مع الأصل الأسطوري إذ ينهي رغبة الفاعل / الصبي بالتحقيق، إذ يستطيع الوصول أخيراً إلى العشبة ويجلبها إلى امة فتشفى، ومن ثم فان الكاتب يخالف نهاية الملحمة، إذ من المعروف أن (جلجامش) يدرك أخيراً انه لا يمكنه الخلود بعد أن فقد النبات.

الصبي: ساعداني على قطف العشبة من قمة الجبل، ثم أرسلا بمعيتي رتلاً من فرسان مملكتهما إلى بلدي.

التلميذ: وسقيت أمك من الدواء...

الصبي: وشفيت تماماً. [١٦].

٢- **الحكاية الشعبية/ الخرافية .**

يستثمر نص (العشبة) عدداً من الحكايات الشعبية الخرافية يعمل على توظيفها توظيفاً فنياً متقناً، إذ وجد الكاتب فيها فضاء تشكيلياً ملائماً يتوافق مع الفضاء الميثولوجي الذي أسسه في هذا النص، فالحكاية الخرافية قريبة في بنائها وشكلها ومضامينها وموضوعاتها من الأسطورة، إلى درجة قد تصل إلى حد التداخل بينهما وعدم التمييز أحياناً على الرغم من وجود فروق أساسية بين الاثنين لا يتسع المجال هنا لذكرها.

يُدخل الكاتب مجموعة الحكايات هذه في المبنى الحكائي للنص عن طريق آلية الاسترجاع الزمني. وهي تقنية منتخبة بدقة وذكاء لأن الحكاية الشعبية نفسها تتأسس في الأصل عن المرويات الشفافية والتواصل التناقلي الذي

ينسب دائماً إلى المؤلف المجهول، لذلك فهي مسترجعة دائماً في المتن الحكائي أي في الواقع خارج النص الإبداعي، إذ أن زمن تأليفها ووضعها يمتد إلى أزمنة بعيدة غابرة غير محددة ففي هذه الحالة فأن التطابق بين المبنى والمتن الحكائي [١٧] يعد أمراً بديهياً ولازماً.

التلميذ: (محتجاً) ما شأني بقصصكم؟

الشابة: لأنهما شبيهة بواقعك.

الصبي: ومليئة بالدروس والعبر.

التلميذ: (بنبرة باكية)، وهل ستنقذني قصصكم من حالتي المزرية؟

الصبي: اسمع فقط ثم قرر.

التلميذ: (بعد تأمل) حسناً، كلّي آذان صاغية [١٨].

تشتغل هذه الحكايات بوصفها وحدات بنائية مستقلة ذلك أنها تشكل نسقاً سردياً مكتفياً بأحداثه وشخصياته وعلاقاته فضلاً عن أن لكل واحدة منها تمثل لبنة أساسية وركيزة فاصلة في مجمل البناء العام للنص أو هي بمثابة محطات انتقال للفاعل من مرحلة إلى أخرى للوصول إلى الموضوع / العشبة، لأن الفاعل الرئيس لجميع هذه الحكايات الشعبية، واحد / الصبي، ومن ثم فهي تمثل الاختبارات أو التحديات التي يواجهها البطل في نمط القصص الشعبي / الخرافي إذ تتضمن جميعها عملية قياس لقدرات الفاعل على الانجاز، بحيث أن النجاح والاجتياز في كل تحدي تقيمه الحكاية، يكون شرطاً للمرور إلى الحكاية الثانية وهكذا...

ثمة علامات نصية كثيرة تدل على استقلالية كل حكاية، فالكاتب قد خصص لكل واحدة منها، مشهداً قائماً بنفسه فضلاً عن تمايز الشخصيات

باستثناء الفاعل الرئيس، كما تأتي خصوصية (المكان) المتشكل بملامح أشبه بلوحة سريالية أو تجريدية، كي يعطي بعده الخرافي وتدليله الفنتازي المطلوب كما لا ننسى تباين أحداث وأفعال كل حكاية عن غيرها:

المكان: غار في سفح الجبل، يقف الصبي أمام بئر، يسحب الحبل، يظهر الدلو، يشرب الماء، ثم ينظر نحو الأرجاء وقد انتشرت جماجم وعظام آدمية، قرب مربط حصان الصبي [١٩].

<u>الحكاية الأولى</u> : تتناول الحكاية الأولى قصة الصبي مع الحصان والصقر، وهي حكاية من الموروثات السريانية الشعبية القديمة المقدمة على ألسنة الحيوانات، وهي المحطة الأولى أو الاختبار الأول للفاعل، إذ يجد الصبي نفسه أمام لغز محير، حيث وضع طعام الحصان للصقر والعكس صحيح، ومن ثم لا بد من تصحيح الأمر ليحصل على المساعدة المطلوبة للانتقال إلى المحطة التالية، وينجح الفاعل في حل اللغز بذكاء وبديهة سريعة، إذ يبدل الأطعمة بين الاثنين فيتحرران من قيدهما، وتثميناً لهذا العمل فأنهما يقدمان المساعدة للفاعل بأن يختصر الحصان المسافة البعيدة للوصول إلى المدينة، ويوفر الصقر الحماية اللازمة من الشمس اللاهبة:

الصبي: هناك خطأ **(يتمعن في المكان حيث يقف حصان وصقر على طرفي الدرب مربوطين كل حدة إلى شجرتين، ويقطعان الطريق الترابي الذي يسلكه الصبي، وأمام كل منهما طعام)**..... عليّ أن أصلح الخطأ.

الصبي: (يحمل معلف الحصان المعبأ باللحم، ويمشي نحو موضع الصقر، يضعه أمامه ثم يحمل عليقة الصقر المليئة بالشعير ويضعها أمام الحصان، فيهجم كل منهما نحو طعامه).

الصقر: (بعد أن ينهي وجبته) أنت صبي ذكي.

الحصان: (للصقر بعد أن يشبع) صدقت يا صديقي انه ذكي .

الصقر: (يفرد جناحيه الكبيرين) لهذا لن نبخل عليه بالمساعدة . [٢٠]

يمكن تلخيص البرنامج السردي [٢١] لهذه الحكاية بالشكل الآتي:

الإيعاز / العبور إلى المدينة وفتح الطريق.

الكفاءة / الذكاء – الحكمة – الحاجة.

الانجاز / إبدال الأطعمة بين الحصان والصقر.

المكافأة / اختصار زمن الوصول – الحماية من الشمس.

الحكاية الثانية: ينتقل الفاعل في هذه الحكاية إلى لقاء الوحشين القبيحين (الأول والثاني)، وهي من المرويات الخرافية الشرقية القديمة، إذ يمثل الوحشان المعيق الأخير الذي يمنع الفاعل من بلوغ الموضوع / العشبة كما تمثل هذه الحكاية الاختبار الحاسم له. يبدو من تسلسل الأحداث أن هذين الوحشين هما في الحقيقة إنسانان (شاب وشابة) غاية في الجمال، لكنهما مُسخا من قبل ساحرة شريرة إلى هذا الشكل البشع، كما أنها حولت كل أفراد المملكة إلى تماثيل من حجر، ومن ثم إذا أراد الصبي الوصول إلى العشبة فلا بد له من حل اللغز / السؤال المرتبط بهما، وهو (هل هذان الوحشان جميلان؟) فإذا كان النجاح حليفه، فأنه سينجو من بطشهما ويحصل على العشبة، وإذا لم ينجح في الجواب فسيصبح فطوراً شهياً لهما، وهنا يقع الصبي في حيرة وفزع شديدين، لكنه يقرر دخول هذا الاختبار الصعب لأجل والدته المريضة، إذ ينتبه فجأة إلى وجود لوعة ودموع في أعين الوحشين، مما يعطيه إشارة إلى كيفية (الجواب) فضلاً عن توجيهات (الجدة) الواصل إليه عبر آلية التذكر والاسترجاع، وبعد تأمل بسيط ينطق بالحق ويقول: (إنهما جميلان) عندها يزول السحر عن

الوحشين ويعودان إلى صورتهما الحقيقية الجميلة (ملك وملكة)، فيكافآنه على ذلك بإعطائه العشبة ومرافقته في طريق العودة.

شكل هذه الحكاية المفصل الرئيس في البناء المقطعي لهذا النص، وهي في الأصل حكايتان: الأولى حكاية الصبي مع الوحشين، أما الحكاية الثانية فهي متضمنة في الأولى وهي حكاية الملك والملكة مع الساحرة، إذ تحولت إلى سبب درامي وحبكة منطقية لإقامة الحكاية الأولى، فضلاً عن إشارتها الواضحة إلى أسطورة (ميدوزة) التي تحولت إلى حجر أصم:

الوحش الأول: (يقتربان ويحيطان بالصبي ويقربان وجهيهما الذي لو تهيئ له وراءهما وهو في حالة أخرى أو في حلم لتوقف قلبه) هل نحن جميلان؟

الصبي: (بعد أن يتمعن بالقبح المتجسد في الوجهين) عليّ أن أنطق بالحق .

الوحش الثاني: (جامداً كتمثال من ملح يترقب الإجابة) أنقذنا أرجوك.

الوحش الأول: (من خلال دموع صافية تسيل من عينيه) نرجوك.

الصبي: (يحاول بذاكرته فك تعابير الرجاء الحار) أنتما...

الوحش الثاني: (من خلال عبرة) ماذا؟

صوت الحكيمة العجوز: انطق بالحق ولا شيء إلاّ الحق مهما كانت العواقب.

الصبي: أنتما أجمل مخلوقين رأيتهما في حياتي **(يزول السحر عن الوحشين ويعودان إلى صورة شاب وشابة في منتهى الجمال).**

الصبي: لقد نجحت. [٢٢]

ويمكن تلخيص البرنامج أو المشروع السردي لهذه الحكاية وفق الشكل الآتي .

الإيعاز / الخوف من الافتراس وبلوغ قمة الجبل للحصول على العشبة.

الكفاءة / النباهة – الصدق مع النفس – الجرأة في قول الحق.

الانجاز / الإجابة عن السؤال بصيغة الإيجاب (نعم).
المكافأة / الحصول على العشبة والعودة إلى الوطن.

٣- القصص الديني / الحكاية الثالثة:

احتوت مسرحية العشبة على نوع من القصص الديني المأثور تحديداً – عن نبي الله سليمان، تلك القصة المعروفة الواردة في الكتب الدينية والتي تحمل إشارة واضحة عن الحكمة العظيمة التي كان يتسم بها، وقد لجأ هيثم بردى إلى هذا الترجيع الديني، كي يعطي نصه تنويعاً جديداً وإضافة ضمن مستويات المرجعيات المتعدد الذي اعتمده منهجاً في كتابة هذا النص.

أن التناص الذي يقيمه الكاتب مع هذه المادة المأثورة، ينتمي إلى نوع من التناص الحر في / المباشر، إذ يستلهم النص قصة النبي سليمان مع المرأتين المتنازعتين على طفل واحد، ويعتمد الطريقة الحكيمة نفسها التي اعتمدها سليمان عندما نظر في هذه القضية، لكن الكاتب أضاف بعض الأحداث التخييلية حول كيفية وصول الصبي إلى المدينة ودخوله إليها ولقائه مع الحراس ووضعه أمام اختبار وتحدي آخر عن طريق الصدفة المحضة، ذلك انه كان أول الداخلين إلى المدينة في ذلك النهار، كي يضفي الكاتب على قصته مناخاً حكائياً شعبياً يزيد من فاعلية عنصر التشويق ويثير دافعية المتلقي وترقبه في متابعة الحدث حتى النهاية:

الرجل: أول من يطأ البوابة نصحبه إلى دار العدالة .

الصبي: (يجفل) أنا لم افعل شيءً يستوجب مثولي في دار العدالة...

الرجل: نطقت بالحق... أنت اليوم قاضي المدينة، هذا قدرك [٢٣].

يجد الفاعل / الصبي نفسه في موقف عصيب، وهو لا يزال في الخامسة عشرة من عمره ويصبح بين ليلة وضحاها قاضياً، وتحت ضغط السلطان والناس

ينصاع الصبي لهذا الأمر، ويقرر بكل شجاعة وثقة أن ينظر في قضية المرأتين المتخاصمتين على الطفل الواحد، تلك القضية التي لم يستطع أي قاضٍ حلها، وهنا يواجه الفاعل التحدي والاختبار الثاني الذي ينبغي تجاوزه لتحقيق الموضوع/ العشبة، فإذا فشل فيه فسوف يسجن، وبعد دقة ملاحظة وحكمة عميقة تشبه حكمة سليمان، يتوصل الفاعل إلى حل ذكي، بأن يقسم الطفل إلى نصفين، لتأخذ كل واحدة منهنَ نصفه الأيمن أو الأيسر، عندها يجد أن (المرأة الثانية) تنفجر بالبكاء وتتهالك عند قدميه مؤثرة التنازل عن الطفل للمرأة الأخرى إلى درجة ادعائها الكذب، حينها يدرك القاضي / الصبي إن المرأة الثانية هي الأم الحقيقية للطفل، لذلك يأمر لها به، ويزج بالأخرى في السجن، متجاوزاً بذلك امتحاناً يقربه أكثر من بلوغ غايته:

الصبي: (بعد أن يمثل السياف) سأقسم الطفل بينكما لكل منكما النصف، فعليكما أن تتفقا على النصفين، أي منكما تريد النصف الأيمن؟

القاضي: (لنفسه) هذا جنون.

الصبي: (للسياف) هيا قم بعملك، أقسم الطفل إلى اثنين.

المرأة الثانية: (تتهالك باكية على البلاط) الرحمة.... الرحمة.

المرأة الأولى: أنا راضية بالقسمة.... أريد النصف الأيسر.

المرأة الثانية: (تتهالك عند قدمي الصبي) أعطِ الطفل كاملاً لهذه المرأة **(وتشير بأصابع راجفة إلى المرأة الأولى)** أنا لا أريد.[٢٤]

يحاكي هذا النص المسرحي القصة ذاتها للنبي سليمان، ويجعل منها وسيلة ناجحة في تمرير ترميز صفة (الحكمة) على الفاعل المتخيل، كما أن النص يلتزم هنا بحرفيات القصة الدينية باستثناء بعض التحويرات البسيطة التي تخلق توتراً درامياً واضحاً وتسهم في حبك الحدث الرئيس بمنطقية متسلسلة، مثل

إضافة شرط (السجن) إذا لم يتمكن الفاعل من حل القضية، كذلك التسهيلات والهبات التي يقدمها (السلطان) للفاعل بعد انجازه المهمة بنجاح باهر.
ويمكن اختزال البرنامج السردي لهذه الحكاية بما يأتي:
الإيعاز / الخوف من السجن – الوصول إلى درب (الصد ما رد) – إرجاع الطفل إلى أمه الحقيقية.
الكفاءة / دقة الملاحظة – الذكاء الحاد – نعمة الحكمة.
الانجاز / لعبة شطر الطفل إلى نصفين لمعرفة الأم الحقيقية من الكاذبة.
المكافأة / بلوغ درب (الصد ما رد).

تشترك الحكايات الثلاثة (الحكايات الشعبيتان والقصة الدينية) في مجموعة ملاحظ يمكن إيجازها بما يلي:

١- إن كل حكاية منها تعمل على إنتاج صفة مركزية من مواصفات الفاعل والتي تحولت إلى دور / المساعد الذي يعينه على تحقيق الهدف والرغبة، فالحكاية الأولى عكس صفة (الذكاء وسرعة البديهة) والحكاية الثانية رصدت (الحكمة ودقة الملاحظة) والحكاية الثالثة أظهرت (الصدق والجرأة).

٢- شغلت هذه الحكايات الثلاثة، دور المعارض / المعيق إذ غدت عقبات وموانع وحواجز، تحول بين الفاعل
وموضوعه في البداية، ولكن بعد تجاوز الفاعل لألغازها تحولت إلى دور المساعد في النهاية.

٣- البرامج السردية للحكايات الثلاثة، تكاد تكون واحدة تحمل صفة الترادف وتعمل ضمن نظام سردي موحد
داخل البرنامج السردي الرئيس، فهي بمثابة وحدات صغرى ضمن وحدتي

النص الكبرى. فالمسرحية من حيث الشكل والقالب تنتمي إلى المسرح الملحمي، إذ تعتمد على تقديم الفعل الدرامي عن طريق روايته عبر راوٍ جماعي هو (الشاب – الشابة – الصبي) وذلك باسترجاع ما حدث في الماضي من مفارقات ومواقف مع الصبي وسعيه الناجح في الوصول إلى العشبة.

التلميذ: (مع نفسه بصوت مسموع) هل أنا احلم؟ **(يتقدم من الشاب ويلمس ثيابه الفاخرة)** ولكني أحس بك.

الشاب: نعم، نحن حقيقيون.

التلميذ: (يتساءل) ماذا تعني؟

الشابة / رأينا من شرفة القصر، قصر الملك **(وأومأت بعينيها إلى الشاب)** ما حدث لك مع زملائك، ومدى حزنك المبرر، فقررنا أن نخترق الزمن ونقطع عدة قرون ونأتي لنواسيك ونسري عنك. (٢٥)

يتنازع المسرحية ، برنامجان سرديان، يمكن أن نسمي الأول بالمسرحية الكبيرة والثاني بالمسرحية المتضمنة، مع الإشارة إلى أن البرنامج السردي الثاني المتشكل من ثلاث حكايات / الوحدات الصغرى، يعد تلخيصاً سردياً للبرنامج السردي الأول، الذي يتوافق فيه زمن القصة مع زمن السرد، وهو رغبة الفاعل / الحاضر في تجاوز (عاهة العور) والعودة للانتماء إلى المجتمع بعد القطيعة مع الآخرين، وذلك بناء على تشابه الظرف الحياتي لكل من التلميذ / الفاعل الآني وبين الصبي / الفاعل المسترجع.

❖❖❖ ❖❖ ❖❖

الهوامش :

١- بناء الشخصية في مسرح الفريد فرج / صالح لمباركية / ٨٥- ٨٦.
٢- العلاقة بين الدين والأسطورة – حدود التواصل وحدود التقاطع / عماد السهيلي / مجلة الحياة الثقافية / ع ٢٠١١/٤٢٤ / ٧ .
٣- اسطورة اوديب / اريك فروم : نقلاً عن العلاقة بين الدين والأسطورة (مصدر سابق) .
٤- م . ن / ٧ .
٥- ينظر : علم النص / جوليا كرستيفا / ٢٧ .
٦- العشبة / هيثم بهنام بردى / صفحة الغلاف .
٧- م . ن .
٨- م . ن .
٩- النظرية الادبية الحديثة والنقد الأسطوري / حنا عبود / ١٥٢ .
١٠- العشبة / ١٩.
١١- النظرية الادبية الحديثة والنقد الأسطوري / ١٥٣ .
١٢- ملحمة جلجامش / طه باقر: نقلاً عن الدراما ومذاهب الأدب / فائر ترحيني / ٣١.
١٣- العشبة / ٣٢ .
١٤- ملحمة جلجامش / طه باقر: نقلاً عن الدراما ومذاهب الأدب / ٢٣ .
١٥- العشبة / ٣٣ .
١٦- م . ن / ٧٠ .
١٧- بنية النص السردي / حميد لحميداني / ٢١ .
١٨- العشبة / ٣٠ .
١٩- م . ن / ١٥ .
٢٠- م . ن / ٤٠ .
٢١- ينظر: مغامرة العلامة المسرحية / عبد المجيد بن البحري / ١١٤- ١١٧ .
٢٢- العشبة / ٦٨ .
٢٣- م . ن / ٤٦ .
٢٤- م . ن / ٥٦ .
٢٥- م . ن / ٣٠ .

المشهد الأول

فنـــاء مدرســـة ابتدائيـــة، التلاميـــذ منتـــشرونَ في الساحة، قـربَ السياجِ ثمـةَ صـخب يفتعلـه تلاميـذ متجمهرون حول تلميذ في الحاديةَ عشرةَ من العمر في رقبتِهِ حقيبـة مدرسـية، يبـدو وجهـه أقـرب إلى الدمامةِ منه إلى الطبيعي، يتعثر في جريه، ينهض ثانية ويركض مبتعداً، ولكن دون جدوى.

تلميذ ١: (وهو يسحب قميصه) أعورٌ... أعور...

تلميذ ٢: (معقباً بصوت جهير) الأعورُ الدجال.

تلميذ ٣: (من خلال ضحكة عالية) أجملُ أعور..

تلميذ ٤: (وهو يغمز لصحبه) ما أجملَهُ، إنهُ أجملُ من طاووس.

تلميذ ٥: (بصوت عالٍ) إنه أجملُ من الملائكة.

تلميذ ٦: (بصوت أعلى) إنهُ الشيطانُ بعينه.

تلميذ ٧: (بعد إن يأتي راكضاً ويردف التلميذ خلف ظهره ويواجه التلاميذ الذين صمتوا حال رؤيتهم له خوفاً منه) هذا عيبٌ... (وينظر إليهم تباعاً) ألا تستحون (يتقدم خطوة فتفك عقدتهم ويتراجعون خطوة إلى الوراء) هيا إلى صفوفِكم، واتركوه لحالِه (بعد إن ينسحبوا تباعاً) قلةُ أدبْ.

التلميذ: (من خلال عبرة) أشكُرك.

تلميذ ٧: (بعد أن يربت على كتفه) لا تلومُهم يا أخي، إنهم لا يعرفونَ ما يفعلونْ (يبتسم) هيا بنا إلى الصف..

التلميذ: (يبادله الابتسام) سألحقُ بك بعدَ قليلْ..

تلميذ ٧: سامحَهم يا أخي..

التلميذ: سامحهم اللّه...

تلميذ ٧: (وهو يبتعد) في المرةِ القادمةِ، إذا فكروا بفعلِ هذا ثانيةً سألقنُهم درساً لن ينسوه أبداً.

التلميذ: (بدلاً من أن يتجه إلى الصف تقوده خطاه نحو زاويةٍ بعيدةٍ خلف غرفة المخزن، يجلس على دكةٍ ثم يجهش بالبكاء) هم ليسوا أفضلَ مني (يتوقفُ عن البكاءِ ويمسحُ دموعَه) إنها مشيئةُ اللّه (ومن خلال شهقة بكاء جديدة) أنْ أكونَ كريمَ العينْ (وبنبرة واثقة) ولكني إنسان.

تحدث جلبة مفاجئة، وكما في
الأحلام يهبط أمامَه صبيٌّ يماثله
في العمرِ مع شابٍ وشابةٍ. بثياب
غريبةٍ مزركشة

الصبي: نعم يا صديقي، إنك إنسانٌ.

الشاب: وهي مشيئةُ اللّه أن تكونَ هكذا.

الشابة: (بصوتٍ رقيقٍ) لكنكَ جميلٌ.

التلميذ: (بخوف) من أنتُم؟

الصبي: لا تخفْ، نحنُ أصدقاء.

التلميذ: (بعد أن يهدأ روعه) لماذا ترتدون ثياباً غريبةً؟

الشاب: (بهدوء) جوابي قد يجعلُك مُشَوشَاً.

الشابة: (بهدوء أعمق) وقد يجعلُك ما تسمعُه منا كأنكَ في حلُم.

الصبي: (بتوكيد) ولكنكَ الآن في علمٍ وليسَ في حلمْ.

التلميذ: (ينظر إليهم تباعاً ويقولُ في هدوء) مَنْ أنتُم؟ تكلموا.

الشاب: نحنُ من زمنٍ آخر.

التلميذ: ما معنى هذا...؟!.

الشابة: من زمنٍ قديمٍ.

التلميذ: (مندهشاً) لم أفَهم؟.

الشاب: (بعد أن يواجهه) أنا ملكٌ أحكمُ مملكةً عامرةً (ويشير إلى الشابة) وهذه زوجتي (ثم يُومئ إلى الصبي) وهذا صيادُ سمكْ.

الصبي: (مكملاً) ونحنُ أصدقاءْ..

الشابة: (بصوت حنون) وأصدقاؤُك أيضاً.

التلميذ: (مع نفسه وبصوت مسموع) هل أنا أحلُم؟ (يتقدم من الشابِ ويلمس ثيابه الفاخرة) ولكني أُحِسُ بِك.

الشاب: نعم، نحنُ حقيقيون، ومن زمنِكَ في الوقتِ الحاضر.

التلميذ: (يتساءل) ماذا تَعني بزمنِنا الحاضر؟

الشابة: رأينا من شرفةِ القصرِ، قصر الملكِ (وأومأت بعينيها إلى الشاب) ما حدث لكَ مع زملائِكَ، ومدى حزنِك المُبرَر، فقررنا أن نخترقَ الزمنَ ونقطعَ عدةَ قرونٍ ونأتيَ لنواسيَك، ونسَري عنك.

التلميذ: (بدهشة) ما معنى قرون؟

الصبي: القرونُ جمعُ قرن، والقرنُ مئةُ عام.

الشاب: (مُكملاً) ونحن عشنا قبلَك بعشراتِ القرون.

التلميذ: (يرتجف خائفاً) هل هذا معقول؟

الشابة: (بصوت ودي) كلُ شيءٍ جائزٌ بقدرةِ اللّهِ جلَّ جلالُه.

الشاب: (مغيراً دفة الحديث) أسمعِ يا صديقَنا، هؤلاءِ الصبيانُ الذين أهانوكَ وعيّروكَ بهيئتِك، لا يفهمونَ الحقيقةَ التي عشناها أنا وزوجتي بمعيةِ صديقِنا صائدِ السمك (ويشير بأصبعه نحو الصبي) فلهذا جِئنا من زمنِنا كي نقصَ عليكَ قصَصَنا.

التلميذ: (محتجاً) ما شأني بقصصِكم؟

الشابة: لأنها شبيهةٌ بواقِعِك.

الصبي: ومليئةٌ بالدروسِ والعِبر.

التلميذ: (بنبرة باكية) وهل ستنقذُني قصصُكم من حالتي المزرية؟

الشاب: أنت لن تخسرَ شيئاً.

الصبي: أسمعْ فقط ثم قررْ.

التلميذ: (بعد تأمل) حسناً، كلي أذانٌ صاغيةُ.

المشهد الثاني

غرفة مشيّدة باللِبن مسقفة بالبواري، امرأة شاحبة ممددة على حصيرة بالية تئِن من الألمِ، صبي في الخامسَ عشرةَ من العمر يسندها ناهضاً جذعَها ثم يسقيها الدواء، وعند قدميها تجلس الحكيمة العَجوز.

الصبي: (وهو يبلل قطعةَ قماش بالماء ويضعها على جبينها)، إنها تشتعلُ.

الحكيمة العجوز: (بهمس) كم حكيماً عاينَها، خلال فترةِ غيابي...؟

الصبي: (وهو يكفكف دموعه) لم يرَها سوى حجّامٌ واحدٌ...

الحكيمة العجوز: (بتعجب) حجّام؟! ، إنها تحتاجُ إلى طبيب..

الصبي: (يديرُ وجهَه)، رفضَ المجيء..

الحكيمة العجوز: لماذا؟

الصبي: (ينشج بصمت) النقود...

الحكيمة العجوز: (بلهجةٍ غاضبةٍ) لعنةُ اللّه عليه، إن الطبَّ مهنةٌ إنسانيةٌ.

الصبي: ما العملُ أيتُها الحكيمة؟

الحكيمة العجوز: بمَ أشارَ الحجّام؟

الصبي:(بيأس) إنه عاجزٌ عن عملِ أيِّ شيء ...

الحكيمة العجوز: (تمد أناملها وتفتح عيني المريضة وتنظر إلى البؤبؤين) إن حالتَها لن ينفع معها الطبُ بعد الآن..

الصبي: أرجوك أيتها الجدةُ العجوز، أشيري عليَّ بأي شيء، لن أتردَدَ بإتيانِه، حتى...

الحكيمة العجوز: (تقاطعه) عشبةُ الحياة..

الصبي: ماذا؟..

الحكيمة العجوز: (بعد أن تضع سبابتها على حنكها الموشوم) لن تستردَ عافيتَها إلاّ بعد أن تتناولَ عشبةَ الحياة.

الصبي: (باندفاع) وأين أجِدُها...؟

الحكيمة العجوز: أنت يا بني..؟!!.

الصبي: (بثقة) نعم يا جدتي، أنا الذي أجلِبُها.

الحكيمة العجوز: طريقُها وعرٌ.

الصبي: (بثقةٍ أعمق) سأسلُكُه.

الحكيمة العجوز: ولكنك لازلتَ صغيراً على هذهِ المغامرة...

الصبي: (بعتب) بدلَ أنْ تشجعينَني، تشككيّن بقدرتي..

الحكيمة العجوز: (بحكمة) إنها تقودُ الإنسانَ الساعيَ إلى مفترقِ طرق، أو ملتقى طرقٍ تؤدي إلى اللاعودة.

الصبي:(بحكمةٍ أستمدها من الجدةِ العجوز) لن أتيهَ، لا في ملتقى الطرقِ، ولا في مفترقِها.

الحكيمة العجوز: (تبتسم) إنكَ ما نسيتَ حِكَمي بعدُ يا ولد...

الصبي: (بصوتٍ فيه رنة فرح) حِكَمُكِ يا جدة شمسٌ طالعةٌ في حياتي أهتدي على ضياءِها إلى سبيلِ الحق...

الحكيمة العجوز: (بفرح) وقد حفظْتَها عن ظهرِ قلبْ.

الصبي:(بفخر) وأعرفُ معانيها يا جدة...

الحكيمة العجوز: (بفرح) حسناً يا ولد... عليك أن تتسلّحَ بالحكمة..

الصبي: حكمةِ سليمانَ الحكيم.

الحكيمة العجوز: والصبر..

الصبي: صبرِ أيوب..

الحكيمة العجوز: والحيلة..

الصبي: حيلةِ أبن أوى.

الحكيمة العجوز: والشجاعة..

الصبي: شجاعةِ الأسد.

الحكيمة العجوز: والبصيرة..

الصبي: (يقاطعها) أيتُها الجدةُ الحكيمةُ، كل ما قصَصْتِهِ عليَّ من حِكَمٍ وقصصٍ مطبوعٌ في دماغي، وأعرفُ أن أتصرفَ على هديِ مغزاها في الوقتِ المناسب.

الحكيمة العجوز: أنتَ أذكى مما أتصورُ يا ولد..

الصبي: (يشير إلى أمهِ المحتضرة) ومن يبقى عندَها؟..

الحكيمة العجوز: (تبتسم) أنا...

الصبي: (يتهالك على كفها ويشبعه تقبيلاً) شكراً جدتي الحكيمة.

الحكيمة العجوز: (فجأة) أسمِعْتَ بالمثلِ الشعبيِ القائل، .. درب الصد ما رد.

الصبي: (بعد تأمل) نعم..

الحكيمة العجوز: أتعرفُ معناه...؟

الصبي: نعم...إنهُ الطريقُ الذي لا رجعةَ منه.

الحكيمة العجوز: إن هذه المغامرةَ غيّبت رجالاً فكيفَ بصبي؟

الصبي: (بحرارة) دليني على الطريق.

الحكيمة العجوز: (تقيس بُنيته الضامرة) ربما ينجحُ الصغارُ في تحقيقِ ما يعجزُ عنَهُ الكبار.

الصبي: (باندفاع) صدقْتِ يا حكيمة (بعد أن يتطلع إلى جسد أمه المحموم) إني مستعدٌ للموتِ من أجلِ أنْ تعيشَ أمي.

الحكيمة العجوز: (بعد أن تمسُّد شعره) صدقْتَ يا ولد، سأدُلُّك على الطريق.

الصبي: (بفرحٍ لا محدود) حقاً يا جدتي؟ (ثم يعتدل في جلسته وينظر إليها بانتباه شديد) كلي آذانٌ صاغِيةٌ.

الحكيمة العجوز: (بعد أن تسرح قليلاً) إليك نصائحي الأخيرة.

الصبي: إنكِ ما تركْتِ حِكمةً لم تصفيها لي...

الحكيمة العجوز: (مشجعة) أعرف، ولكنَّ هناك أمور يجبُ أنْ تفكرَ بها.

الصبي: (يضحك) كل ما تقولينَه قرطٌ في أذني.

الحكيمة العجوز: لا تنظُر إلى الأمورِ من ظاهِرها، بل أبصرْ دواخلَها.

الصبي: وبعدُ...

الحكيمة العجوز: احفظِ الحكمةَ في أعماقِ عقلَك، فهي زوادةُ المسافِر نحوَ المجهول.

الصبي: زيديني يا جدة.

الحكيمة العجوز: اجعلِ الخوفَ شمساً تطلعُ أمامَك كلَّ حين.

الصبي: (بتساؤل) قطعاً إنكَ لا تقصدينَ الجبان.

الحكيمة العجوز: (بحسم) لا يا بنيَ، الرجلُ الذي يخافُ يتصرفُ بحكمةٍ، لأنهُ يفكرُ بعمق.

الصبي: (يلم شتات تفكيره) أحاولُ أنْ أفهَم.

الحكيمة العجوز: إنكَ الآن تضعُ الخطوةَ السليمةَ الأولى.

الصبي: (بحرارة) دُليني يا حكيمة.

الحكيمة العجوز: اسمع يا ولد (وقفة) رحلتُك للحصولِ على العشبةِ

ليسَتْ مفروشةً بالورود... (بعدَ أن تتوقف للحظة) إنها رحلةٌ يشيبُ لها رأسُ الرضيعِ قبلَ البالغ.

الصبي: إني رجل.

الحكيمة العجوز: (تضحك) شجاعتُك تعجبني، ولكن الشجاعةَ وحدَها لا تكفي.

الصبي: تعرفين يا أم، أني وحيدٌ ويتيمٌ لا أملِكُ من هذه الدنيا إلا أمي، ومن أجلِها أبذِلُ الغالي، وأغلى ما عندي روحي.

الحكيمة العجوز: إنك أكبرُ من سنِك يا بني، هِمَتُك تعجِبُني، إليكَ نصائحي.

المشهد الثالث

مفترق طرق، خلاء موحش، ليل، برد، الصبي بثيابهِ العتيقةِ، وزوادتهِ القماشية معلقة بعصىً على كتفه، يقف مندهشاً.

الصبي: (لنفسه) كيفَ أعُبر؟

صوت الحكيمة العجوز: ليستْ مفروشةً بالورود.

الصبي: هناكَ خطأ...(يتمعن في المكان حيث يقف حصانٌ وصقرٌ على طرفي الدرب، مربوطين كلٌّ على حدة إلى شجرتين، ويقطعان الطريق الترابي الذي يسلكه الصبي، وأمام كل منهما طعام)..عليَّ أن أُصلحَ الخطأ.

صوت الحكيمة العجوز: إنكَ أكبرُ من سِنك.

الصبي: (وهو يتقدم بحذر نحو السُفرتين) هذا غيرُ ممكن؟.

صوت الحكيمة العجوز: شجاعتُك تعجُبني.

الصبي: (يحمل معلف الحصانِ المعبأ باللحم، ويمشي نحو موضعِ الصقر، يضعه أمامه ثم يحمل عليقة الصقر المليئة بالشعير ويضعها أمام الحصان، فيهجم كل منهما نحو طعامه) كُلا واشبعا.

الصقر: (بعد أن ينهي وجبته) أنتَ صبيٌّ ذكي.

الحصان: (للصقر بعد أن يشبع) صدقْتَ يا صديقي، إنه ذكي.

الصقر: (يفرد جناحيه الكبيرين) لهذا لن نبخلَ عليه بالمساعدة.

الحصان: (ينظر إلى الصبي بعمق) صدقْتَ (بعد وقفة) شرطَ أنْ يكمِلَ ما بدأه، لكي يدللَ على أنَّ ما فعلَه لم يكنْ مصادفةً، بل بُعدَ نظرْ.

الصقر: (يشمل الصبي بنظرةِ حب) إني أراهنُ على ذكائِه.

الحصان: لِنَرَ.

صوت الحكيمة العجوز: وإني واثقةٌ من حكمته.

الصبي: (يبتسم) نعم يا أصدقاء، عليّ أنْ اتمَّ ما بدأتُه.

الصقر: (يتبادل النظر مع الحصان) سيفعَل.

الصبي: (يتجه نحو جذع الشجرتين ثم إلى قوادمهما ويفك الحبل عنهما) هنا تكتملُ الحكمة.

الصقر: (يقطع المدى جيئةً وذهاباً) لم تُخِبْ ظَني يا صديقي.

الحصان: (متأملاً وهو يمشي على حوافره) تفكيرُه أكبرُ من عمرِه

الصقر: (بمحبة) إنه رجلٌ.

الحصان: (بصوت دافئ) وحكيمٌ.

الصقر: ولن نبخلَ عليهِ بالمساعدة.

الحصان: نكون ناكرِيَن للجميلِ إنْ لم نفعل.

الصقر: وبفراستي أستطيعُ أنْ أخمّنَ أنه يبحثُ عن العشبة.

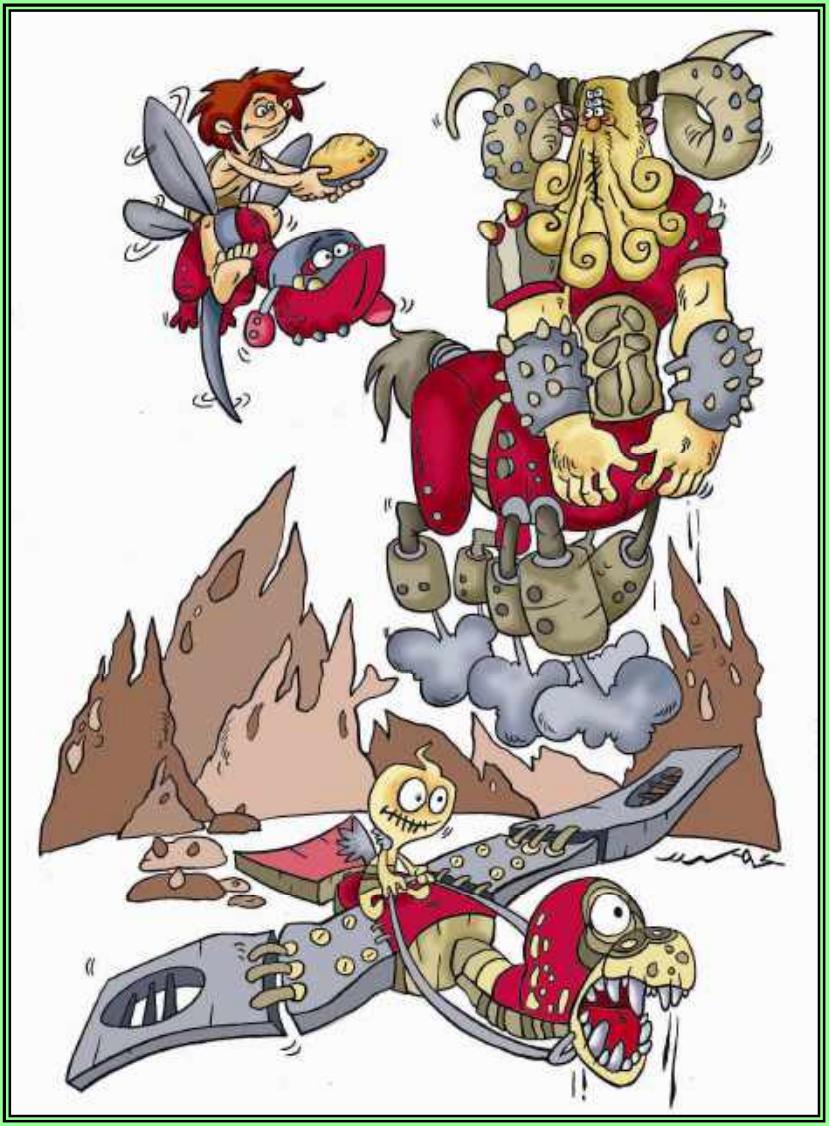

الحصان: والوصولُ إلى المدينةِ القادمةِ رحلةٌ شاقةٌ لا يتحملُ طريقَها بدنُهُ النحيل.

الصقر: يجب أنْ نساعِدَه.

الحصان: (للصبي) أنت تبحثُ عن العشبة...أليسَ كذلك؟

الصبي: أجل...من أين عرفْت؟

الصقر: (بحنكة) ولا تبحثُ عنها بَطَراً.

الصبي: إنها لأمي.

الحصان: فهمتُ.

الصقر: إنها مريضةٌ.

الحصان: ودواؤها العشبة.

الصبي: نعم (بعد وقفة).. أنتما لماحان.

الحصان: وأنت ذكيٌ وحكيمْ.

الصبي: شكراً (يلتفت إلى الصقر) لِمَ كنتُما مربوطين؟

الصقر: إنها قصةٌ طويلةٌ.

الحصان: سنقصُّها لك عندَ عودتِك (مغيراً الحديث)، الوصولُ إلى المدينةِ القادمةِ يستغرقُ شهوراً.

الصقر: ونحن نختصرُها لك بأسبوع.

الحصان: ستمتطي صَهوتي.

الصقر: وسأكونُ مظلةً تحميكَ حرَّ الصيفِ اللاهبْ.

الصبي: (يهمس لنفسِه) لا يمكنُ لهذه الروحِ الطيبة أن تكونَ حبيسةً.

الحصان: (يبرك) هيا ، ارقَ ظهري.

الصقر: (يفرش جناحيه الهائلين) سأظلِّلُك.

الصبي: (يستوي على ظهر الفرس) لن أقَع.

الحصان: نحنُ وأنتَ... الآن واحد ، لا تَخف.

الصقر: هيا.

المشهد الرابع

الوقت: فجراً

المكان: أسوار شاهقة، بوابة ضخمة تنفتح ببطء ليظهر حارسان مدججان بالسلاح، خلفهما رجل بثيابٍ مزركشةٍ وعمامةٍ كبيرة، يحيط الحارسانِ بالصبي ويتقدم إليه الرجل.

الصبي: (مبهوتاً) أسعدْتُم صباحاً.

الحارس الأول: (يلكزه) قَبّلِ الأرضَ بين قدميه أيها المتشرد.

الصبي: (مندهشاً) لماذا تضربُني يا رجل؟

الحارس الثاني: (يركله) إركعْ أيها المتسول.

الصبي: (ينظر إلى الحارس بغضب، ثم يتحول إلى الرجل) لماذا يضرباني؟

الرجل: (بعد أن يعطي الإشارة إلى الحارسين فيبتعدان) إني أعتذر.

الصبي: (بعد أن عاد إليه الهدوء) لم أفعلْ أيَ شيءٍ يستحقُ الإهانةَ، إني حييتُكم فقط، والتحيةُ من شيمِ الرجال.

الرجل: (معجباً بفصاحة الصبي)، أحسنْتَ.... (بعد وقفة قصيرة)، أنتَ أولُ من تنفتحُ أمامَهُ البوابةُ هذا الفجر.

الصبي: وهل ثمةَ في ذلكَ حجةٌ لضربي وإهانتي..؟

الرجل: (يحسم الموضوع)، يعتقدان أنهما يؤديان واجبَهُما.

الصبي: (بعد أن يهدأ وينظر إلى الناس المحتشدين خلف البوابة) ولِمَ كلُ هذِه الضجة (ويشير بيديه نحو الحشد) وكلُ هؤلاءِ الناس؟

الرجل: هذا هو حالُنا منذ أربعةِ أيام.

الصبي: لَم أفهم؟

الرجل: أولُ من يطأُ البوابةَ نصحبُه إلى دارِ العدالة.

الصبي: (يجفل) أنا لم أفعلْ شيئاً يستوجبُ مثولي في دارِ العدالة..

الرجل: نطقْتَ بالحق... أنتَ اليومَ قاضي المدينة.

الصبي: (يهتف متعجباً) أنا؟! (ثم بهدوء) إنْ أنا إلاّ صبيٌ لم يتجاوزْ عمري الخامس عشرة (وبنبرة أعلى) ثم أنا لا أفهمُ في القضاء.

الرجل: نعلمُ هذا، ولكنهُ قدرُك.

الصبي: هل هذا معقول؟ (وكأنه يسأل نفسه) وكيفَ أتعاطى القضاءَ في شؤونِ أهلِ المدينة؟

الرجل: بل إن القضية التي ستَبُتُ بها واحدةٌ فقط ولمْ تُحَلْ منذُ أكثرَ من شهر، وقد عجزَ القضاةُ عن الحكمِ بها، إلى أنْ أصدرَ السلطانُ فرماناً بأنَّ أولَ من يدخلُ المدينةَ فجراً يبُتُ بها، فأن فشلَ ينتظرُه عقابُه، وإن أفلحَ تُستَجابُ كلُّ طلباتِه.

الصبي: ولكني صبيٍ.

الرجل: الذي يقطعُ كل هذهِ المسافةِ من المدينةِ خلفَ النهرِ ويقطعُ الليالِيَ والنهاراتِ ليس صعباً عليهِ القضاء.

الصبي: (بتوسل) أعفِني من هذا الأمرِ أيها المحترم، ودعِ الأمرَ لمنْ يطأُ البوابةَ بعدي.

الرجل: (بحسم) لن نستطيعَ عصيانَ فرمانِ السلطان.

الصبي: (بلهجةٍ متوسلة) إني أبحثُ عن دواءٍ لأمي المريضة..

الرجل: الأمر مُنْتَهٍ (يؤشر برأسه نحو الحارسين، يمسكانِ به ويختفيان جميعاً خلف البوابة).

المشهد الخامس

الوقت: ضحى نفس الصباح.

المكان: قاعة فسيحة تتصدرها دكة أنيقة يقتعدها القاضي، بجانبه المنادي واقفاً.

الرجل: (بعد أن ينحني) جئنا بالقاضي الجديد.

القاضي: (ينظر نحو الرجل ثم نحو جمهور القاعة الغفير) أينَ هو؟

الرجل: (ينزاح جانباً ليظهر من خلفه الصبي) هذا هو.

القاضي: (ينهض مندهشاً) صبي؟!!

الرجل: إنه أولُ طارقٍ للبوابة.

القاضي: (ينزل الدرجات، يواجه الصبي) أنتَ الآنَ قاضي المملكة، (يشير بذراعيه نحو الدكة) تفضلْ إلى منصةِ القضاء.

الصبي: (متلعثماً) ولكن يا سيدي إني صبيٌ يبحثُ عن....

القاضي: (يقاطعه) ونحن الآن ننتظرُ حكمَكَ على قضيتِنا التي حّيرَتْ كلَّ القضاةِ (يشيرُ إلى الحارسين) احملاه واجلساه على الدكة.

الصبي: (بعد أن ينصاع للأذرع) ولكن...؟! (يضيع صوته وسط الضحكِ المتواصلِ للناس المتواجدين في القاعة) ماذا أفعل؟

صوت الحكيمة العجوز: تسّلحْ بالحكمة.

الصبي: (يهتف) إلزموا الهدوء (يرفع الحاجب كفه ويهزها طالباً من الجمهور الصمت وحين يعم الصمت يصرخُ الصبي) كلُ من يضحكُ أو يتكلمُ أزّجُهُ في السجن.

القاضي: سيادة القاضي نرفعُ إلى مقامِكم قضيةً حيَرْتنا جميعاً وحاولَ القضاةُ المتعددونَ أن يجدوا لها حلاً ولكن دونَ فائدة، وها أنت القاضيُ الرابعُ الذي استقدمناهُ من خارجِ المدينة، نأملُ أن تجدَ حلاً لها، فإن لم تنجحْ سيكونُ مصيرُكَ مِثلَ هؤلاء (ويشير إلى قفص حديدي في زاويةِ القاعِة بداخِلِهِ ثلاثةُ رجال) وإن نجحْتَ نلبي كافةَ احتياجاتِك وطلباتِك، حتى لو طلبْتَ الزواجَ من ابنةِ مولانا السلطان (ويخطو القاضي نحو الجانب الأيمن من القاعة حيث يجلس السلطان مع فتاةٍ جميلةٍ جداً).....أمرُ مولايَ السلطان.

السلطان: إبدأوا الجلسة.

الصبي: (لنفسه) هو حلمٌ.

صوت الحكيمة العجوز: بل هو علمٌ.

القاضي: (يقتعد دكةً على اليسار ويأمر الحاجب) نادِ على المرأتين.

الحاجب: فلْتدخُل المتخاصمتان.

الصبي: (يرى امرأتين تدخلان وخلفُهما حارسٌ يحمل طفلاً رضيعاً، تقف المرأتان أمام المنصة وبينهما الحارس) ما خطبهما؟

القاضي: هاتان المرأتان... كلٌ منها تدّعي أنَّ هذا الطفلَ لها.

المرأة الأولى: (تهجم على الحارس محاولةً انتزاع الطفل) إنّه ابني.

المرأة الثانية: (تنظر إلى ما يجري) بل هو طفلي.

القاضي: (نحو الصبي) هذه هي القضية.

صوت الحكيمة العجوز: قصةُ سليمان الحكيم مع المرأتين.

القاضي: (للصبي) تستطيعُ أنْ تبدأ.

المرأة الأولى: هذه المرأة تسللتْ إلى مخدعي وأنا نائمةٌ وخطفَتْ ابني.

الصبي: (نحو المرأة الثانية) ردي عليها.

المرأة الثانية: (تحاول أن تهجم على الأولى) إنها تكذِب، هذا الطفلُ لي.

صوت الحكيمة العجوز: ياللعجب، أنها عينُ القصة، تصرفْ بحكمةِ سليمان.

الصبي: (للحارس) أعطِ الصبيَ لهذه المرأة.

المرأة الثانية: (تتلقف الطفل، وتقبله بلهفة وهي تتمتم) يا فلذةَ كبدي.

الصبي: (للحارس)، خُذه منها (يأمر بصوت حاسم)، فلْتخرجِ المرأتان.

صوت الحكيمة العجوز:لا تفوتُك أيةُ شاردةٍ أو واردة، قد يأتي الحلُ بلمحِ البصر.

الصبي: (يراقب انسحاب الحارس والمرأتين، تخرجُ المرأةُ الأولى، تخرج بشكل اعتيادي، فيما الأخرى لا تُنزلِ بصرها عن الطفل)، لمحةُ بصرٍ واشتغالُ بصيرةٍ.

القاضي: (بعد أن تخرج المرأتان) هل توصلتَ إلى الحقيقة؟

الصبي: (يضع رأسه بين راحتي كفيه وهو يستحضر صورة وجه أمه المغمى عليها في وجه المرأة الثانية، يرفع رأسه ويقول) نعم توصلتُ.

القاضي: ما هو...؟

الصبي: أدخلوا المرأتين والطفلَ.

الحاجب: فلْتدخلِ المرأتان والطفل.

الصبي: (بعد أن يمثل الجمع أمامه) اسمعا أيتها المرأتان، كلٌ منكما تدّعي أنها أمُ هذا الرضيع، وأنا صدْقتُكُما (يأمر القاضي) آتوني بسياف.

القاضي: (مذهولاً) ليأتِ السياف.

الصبي: (بعد أن يمثل السياف) سأقسِمُ الطفلَ بينكُما، لكلِ مِنكما النصف، فعليكما أن تتفقا على النصفين، أيٌ منكما تريدُ النصفَ الأيمن.

القاضي: (لنفسه) هذا جنونٌ.

الصبي: (للسياف) هيا قمْ بعملِكَ، اقسِمِ الطفلَ إلى اثنين.

المرأة الثانية: (تتهالك باكية على البلاط) الرحمةُ... الرحمة...

المرأة الأولى: أنا راضيةٌ بالقسمة... أريدُ النصفَ الأيسر.

المرأة الثانية: (تتهالك على قدمي الصبي) أعطِ الطفلَ كاملاً لهذه المرأة (وتشير بأصابعٍ راجفةٍ إلى المرأة الأخرى) أنا لا أريدُه.

الصبي: ولكنكِ أدعيتِ أنكِ أمه.

المرأة الثانية: (من خلال بكاء حارق) إني كاذبةٌ.. كاذبةٌ.. كاذبة.

الصبي: وتعرفينَ عاقبةَ الكذب...؟

المرأة الثانية: افعلوا بي ما شِئتم، اسجنوني، عذبوني، اقتلوني، ولكن لا تفعلوا شيئاً بالطفل..

صوت الحكيمة العجوز: الشمسُ لا تُغطى بالغربال... حكمةُ سليمان مقرونةٌ بعدالة السماء.

الصبي: (للحارس) أعطِ الطفلَ لهذه المرأة (ويشير إلى المرأةِ الثانيةِ الجاثية) فهو اِبنُها (ينظر إلى المرأة الأخرى) ولْتذهب هذه إلى السجن، هذا هو الحكم.

القاضي: (للحاجبِ والحارس) نفِذا الأمر.

المرأة الثانية: (تأخذ الرضيع وتهتف) إنكَ نطقْتَ بالحق يا مولاي.

صوت الحكيمة العجوز: لا تهادنْ على الحقِ مطلقاً.

الصبي: مولاكِ خالقُكِ يا امرأة، اذهبي بسلام.

السلطان: (بصوتٍ جهير) لم تنطقْ إلاّ بالحقِ يا بني، ولكن كيفَ توصلْتَ إلى الحقيقة؟

الصبي: (بعد أن ينهض من دكة القاضي يتجه نحو منتصف القاعة ويواجه السلطان) عرِفتُها من ثلاثِ ملاحظات.

الأولى: لهفةُ الأم.

الثانية: إيثارُ الأم.

الثالثة: تضحيةُ الأم.

وهذا ما وجدته في المرأةِ الثانية، فعندما حضنَتْهُ وجدْتُ لهفةَ الأم بكل أبعادِها وعندما أمرتُ بتقسيمِ الطفل، آثرت الأمُ بأمومتها من أجلِ أنْ يبقى الطفلُ حياً، وعندما هدْدتُ الأمَ بالسجنِ ضحَتْ بكرامتِها من أجلِ ابنها.

السلطان: (ينهض مبهوتاً فيقفُ كل من في القاعة) صدقْتَ يا بني.

الصبي: (بعد أن تهدأ القاعة) إنها الحكمةُ، وما الحكمةُ إلاّ نعمةٌ من نعم الله.

السلطان: ونِعمَ بالله (بعد فترة صمت) سلْ ما تريدُ وترغب به نفسُك، وما تريده يُستجاب في الحال.

الصبي: لي طلبٌ واحدٌ أنْ أصلَ إلى (دربِ الصد ما رد).

السلطان: أتعرفُ عواقِبَ مغامرتِك؟

الصبي: أعرفُ، إن أغلبَ المغامرين ذهبوا وما عادوا، ولكن لا خيارَ آخَر لي، إني بحاجةٍ إلى الدواء.

السلطان: العشبةُ.

الصبي: أجلْ يا مولاي، إن أمي تحتضر.

السلطان: (للقاضي) أكرموا قاضينا العادل وأوصلوه إلى بدايةِ الطريق.

القاضي: (ينحني بتوقير) سمعاً وطاعةً.

المشهد السادس

الوقت: صباحاً.

المكان: غار في سفحِ الجبلِ، يقف الصبي أمام بئرٍ، يسحب الحبل، يظهر الدلوَ، يشرب الماءَ، ثم ينظر نحو الأرجاءِ بفزعٍ وقد انتشرت جماجم وعظام آدمية، قرب مربط حصانِ الصبي.

الصبي: (يلتفت بخوف) هنا يتحددُ مصيري ومصيرُ أمي.

صوت الحكيمة العجوز: عند مفترقِ الطرق يتحددُ مصيرُك، ومصيرُك يعتمدُ على بصيرتِك، والبصيرةُ تعتمدُ على التفكيرِ العميق، فكرْ بعمقٍ ثم انطقْ بالحكمة.

الصبي: (وكأنه يخاطب شخصاً) أتمنى أنْ تبقَي معي دوماً يا جدة و....

(ضجة عنيفة تصدر من فم الغار ثم يظهر وحشان جمع الخالق في وجهيهما كل قبح العالم) رباه... ما هذا؟

الوحش الأول: (يتشمم) إني أشمُ رائحةً غريبةً.

الوحش الثاني: إنها رائحةُ إنسان.

الصبي: (وهو يرتعد خوفاً) سيمزقاني...

الوحش الثاني: إنَّ أنفي لا يُخطئ، ... إنها رائحةُ آدمي.

الوحش الأول: (بعد أن يصهل الحصان) إني أرى حصاناً، وحيثما وجِدَ حصانٌ نجدُ الإنسانَ، أينَ هو؟

الصبي: (بعد أن يبرز من خلف الصخرة) ها أنا ذا.

الوحش الثاني: (يحدق فيه بإمعان ثم ينفجر بضحكةٍ قوية) صبيٌ قاصرٌ؟!! (بعد وقفة) ماذا تفعلُ هنا؟

الصبي: (بشجاعة لم يألفها) جئتُ لأجلِ شيء.

الوحش الأول: (يزمجر) ألم يكلموك عنا؟!.

الصبي: بلى.

الوحش الثاني: (بصوت كالزئير) ألا تخاف؟

صوت الحكيمة العجوز: لكل موقفٍ أوانُهُ، الشجاعةُ عندما يقتضي ذلك، والصبرُ عندما يتطلبُ الأمر، والذكاءُ على الأعمِ الأغلب، والفراسةُ...

الصبي: (بثقة رجل) ما جئتُ من أجلِهِ يستحقُ حتى الموت.

الوحش الأول: (معجباً) كلامُك أكبرُ من سنِك.

الوحش الثاني: كلامُ رجلٍ عارَكَ الزمن.

الصبي: الحكمةُ تأتي الأطفالَ أيضاً.

الوحش الثاني: (للأول) الحكمةُ..الحكمة.

الوحش الأول: (للثاني) إنها كلمةٌ نسيناها منذ زمنٍ بعيد.

الوحش الثاني: (ينظر إلى الصبي) ربما...؟

الوحش الأول: ربما يكون قاربُ النجاة (إلى الصبي) هل تعرفُ الحكمةَ؟.

الصبي: إنها نِعمةٌ يهبُها الخالقُ للبشر.

الوحش الأول: (يرتعد) لِمَ خاطرْتَ بالمجيء؟.

الصبي: جئتُ من أجلِ العشبة.

الوحش الثاني: (ينظر نحو قمة جبلٍ عالٍ) إنها هناك.

الصبي: (بشجاعة) وجئتُ لأحصلَ عليها.

الوحش الأول: ونحنُ؟

الصبي: أنتما ماذا؟

الوحش الثاني: ألا تعلمُ منْ نحن؟

الصبي: بلى.

الوحش الأول: ألا تخاف؟

الصبي: الذي لا يخافُ ليسَ رجلاً.

الوحش الثاني: (للأول) نحنُ أمامَ حكيم.

الوحش الأول: (للثاني) هل يكونُ المنقذ؟

الصبي: (مندهشاً) المنقذ...أنقذُ مَن؟

الوحش الأول: هل أتانا الفرجُ أخيراً؟

الصبي: (بدهشةٍ أكبر) الفرج؟.

الوحش الثاني: قد يتحققُ المستحيل.

صوت الحكيمة العجوز: الهدوءُ، التفكيرُ، النطقُ بالحق.

الصبي: (يسألهما) أين الطريقُ إلى القمة؟

الوحش الأول: ليست الصعوبةُ في ارتقاءِ الجبل.

الوحش الثاني: بل في اجتيازِنا.

الوحش الأول: والنجاحِ في الاختبار.

الصبي: (لنفسه) اختبار (لهما) أيُّ اختبار؟

الوحش الثاني: عليك أنْ تجتازَ اختباراً سنجريه عليك.

الوحش الأول: (مكملاً) إنْ نجحْتَ فيه ستحصلُ على العشبة.

الوحش الثاني: (مقاطعاً) وإن فشلْت...

الوحش الأول: (يشير إلى الجماجم) مصيرُك مثلُ مصيرهم.

الصبي: (يرتعش) ماذا تعني؟

الوحش الأول: (يكشِرُ عن أنيابه الحادة) سنمزقُك إرباً إرباً.

صوت الحكيمة العجوز: الحياةُ جميلةٌ بلا شك، والأجملُ أنْ تعيشَ حياتَك كما ينبغي أن تفيدَ من يعيشُ حولك.

الوحش الثاني: ماذا قلْت؟ هل توافق....؟ إذا كنْتَ خائفاً؟.

الوحش الأول: (ترتعش وجنتاه) لديك الفرصةُ في الرجوعِ إلى أهلِك.

الصبي: أنا رجل.

الوحش الثاني: (يختبره) أنت صبي.

الصبي: صبيٌ بعقلِ حكيم.

الوحش الأول: (بنبرة فرح) توافق؟!!...

الصبي: نعم (وينظر إليهما) ما هو الاختبار؟

الوحش الثاني: أذكّرك، إنْ أخفقْت...

الوحش الأول: (يزمجر) تصيرُ لنا فطوراً شهياً.

صوت الحكيمة العجوز: يبانُ معدنُ الرجالِ الحكماءِ والشجعانِ في أوقاتِ الشدة.

الصبي: أوافقُ على الاختبار.

الوحش الثاني: نعطيكَ المهلةَ الكافيةَ للتفكير.

الوحش الأول: لا زمنَ محددَ لها.

صوت الحكيمة العجوز: التفكيرُ العميقُ ثم الإجابةُ الصائبةُ.

الوحش الأول: (يقتربان ويحيطان بالصبي ويقربان وجهيهما الذي لو تهيأَ له ورآهما وهو في حالةٍ أخرى أو في حلم لتوقف قلبه) هل نحنُ جميلان؟

الصبي: (بعد أن يتمعن بالقبح المتجسد في الوجهين) عليَّ أنْ أنطقَ بالحق.

الوحش الثاني: (جامداً كتمثال من ملحٍ يترقب الإجابة وتصطك أسنانه) أنقذْنا أرجوك!

الوحش الأول: (من خلالِ دموعٍ صافيةٍ تسيل من عينيه) نرجوك...

الصبي: (يحاول بذاكرته فك تعابيرِ الرجاء الحار) أنتما...!

الوحش الثاني: (من خلال عبرة) ماذا؟

صوت الحكيمة العجوز: انطقْ بالحق ولا شيء إلاّ الحقَ مهما كانت العواقب.

الصبي: (وهو يرتعش) أنتما...

الوحش الأول: أرجوك.

الصبي: أنتما أجملُ مخلوقينِ رأيتُهما في حياتي.

(تصدر عن الوحشين صرخة مدوية، يسقطانِ على أثرها، يتمرغان في الصخرِ، وجسداهما يرتعشان مثل مصروعين، ثم يتجلى صرعهما عن شابٍ وشابةٍ غاية في الوسامة والجمال)

الصبي: لقد نجحتُ.

الشاب: (يسرع نحو الصبي ويحتضنه ويشبعه تقبيلاً) لقد أعدَتنا إلى صورتِنا الحقيقية.

الشابة: (تحذو حذَو الشاب وتحتضن الصبي) لقد أنقذَتنا من السحرْ.

المشهد السابع

(عودة إلى المشهد الثاني)

التلميذ: (للصبي) ثم ماذا حصل؟

الشاب: (ينبري) أنقذَنا من السحر، فبعد أنْ نطقَ بكلمةِ أجملِ مخلوقين...

الشابة: (تتابع) حررَنا من سحرِ العجوزِ الشمطاء.

التلميذ: ولماذا سحرتُكما؟.

الشاب: قبل أن تسحرَنا الساحرةُ العجوز، كنْتُ ملكاً أعاملُ رعيتي بالعدل، وكان شعبي يحبني، أنا وزوجتي الملكة (ويشير إلى الشابة) إلى أن حلَتْ تلك الساحرةُ الملعونةُ وسحرتْنا أنا والملكةَ إلى وحشينِ قبيحين لا يفكُ سِحرهما إلاّ من ينطق بالحقِ ويتسلحُ بالحكمةِ ويرى الجوهرَ لا الشكلَ، ويقول أننا جميلانِ رغم القبحِ الشديد.

الشابة: (تكمل) وجعلتْ أبناءَ المملكةِ تماثيلَ من حجر.

الشاب: (مكملاً) حتى جاء صديقُنا.

التلميذ: وفكَ عنكُما السحر.

الصبي: نعم هذا صحيح.

التلميذ : (منشدّاً) وماذا حدثَ بعدَ ذلك؟

الصبي: ساعداني على قطفِ العشبةِ من قمةِ الجبل، ثم أرسلا بمعيتي رتلاً من فرسانِ مملكتِهما إلى بلدتي.

التلميذ : وسقيتَ أمَكَ من الدواء...

الصبي: وشُفَيتْ تماماً.

الشاب: ودعوتُ صديقي وأمَه للانتقال إلى مملكتي.

الصبي: واعتذرتُ.

التلميذ : لماذا؟

الصبي: لأني أحبُ أرضي.

التلميذ : (مأخوذاً بالنشوة) إن قصتَكم جميلة.

الشاب: فقط؟!...

التلميذ : وذات معنى.

الصبي: كيف؟

التلميذ : علمتْني قصتُك أنه لا يصحُ إلاّ الصحيحُ، ولا يمكن أن تسودَ إلاّ العدالةُ، والجمالُ ليس بالظاهرِ بل بالجوهر.

الشاب: هذا مفرحٌ جداً يا صديقَنا.

الشابة: إنكَ ذكي جداً.

الصبي: ليس المهم أنْ تعرفا فقط بل أن تُطبّقا.

التلميذ : نعم يا صديقي.

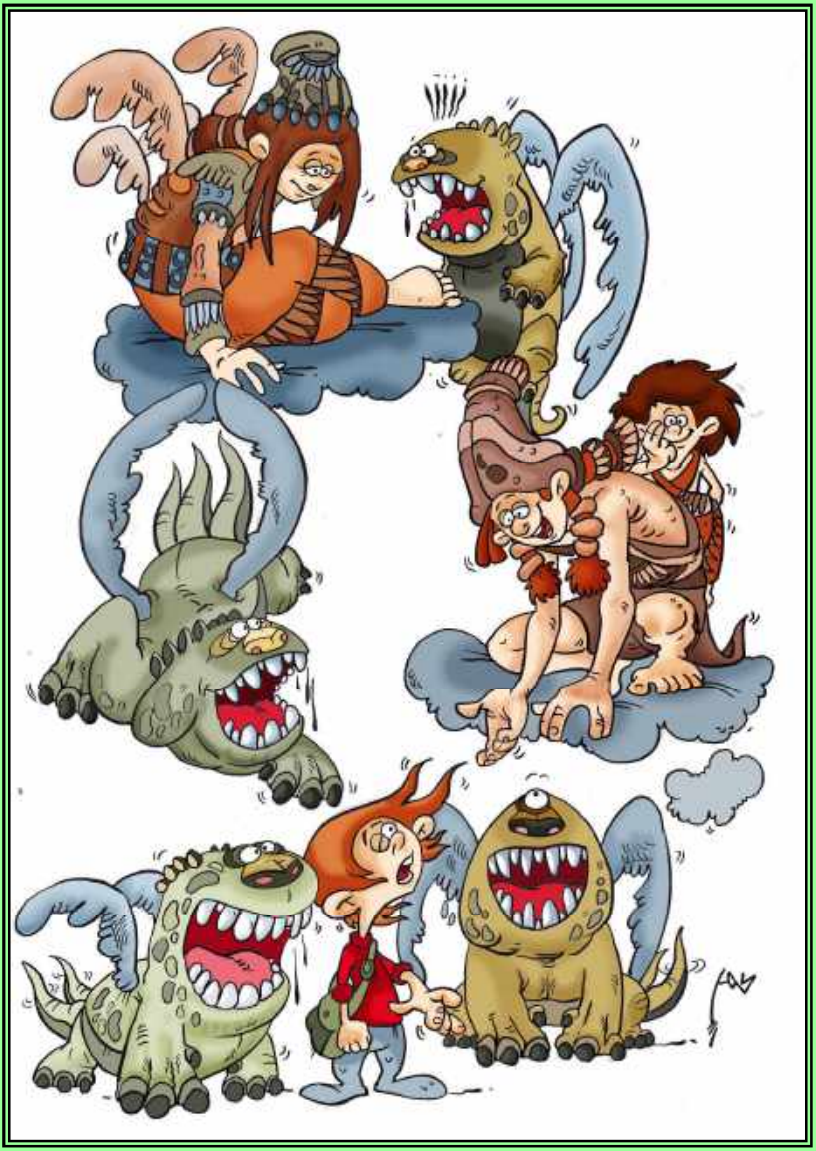

الصبي: عليك أنْ لا تخجلَ من عاهتِك الجسمية لأنكَ جميلٌ.

الشاب: (للتلميذ) أينَ وجدْتَ الجمالَ الحقيقي عندما كنا ممسوخين، ... أنا وزوجتي.

التلميذ: في الدموعِ الصافية.

الصبي: صَدقْت.

التلميذ: أنتم لطفاء... هل تقبلونَ صداقَتي؟.

الشاب: لأجلِ هذا جئِنا.

الصبي: وسنذهبُ إلى زمانِنا وعالمِنا ونحن مطمئنون أنك رجل.

التلميذ: (يضحك إعجاباً) مثل الرجل الذي أبدلَ طعام الحصانِ والصقر، والذي نطق بالحق للأم الحقيقية، والذي قال الحقَ عندما وجدَ الجمالَ الساحرَ في قلبيّ الوحشين.

الشابة: كلامٌ حلوٌ وعميق.

الصبي: رائع... أنت تنطقُ بالحكمة.

التلميذ: إنها تعلِمُني الحكمة.

الصبي: مَنْ؟

التلميذ: (بنبرة صادقة) الحكيمةُ العجوز.

الصبي: نحن مطمئنون الآنَ إنك هزمْتَ الصبيَ الخجولَ، البائسَ، الغاضبَ، والناقمَ على الجمالِ الساحرِ الذي كان يسكنُ قلبه.

الشاب: سنذهبُ الآن.

الشاب: (تعطيه وردةً رائعةَ الجمال) إليكَ تذكارُنا.

التلميذ: (ملوّحاً) وداعاً يا أصدقائي الأعزاء.

(تحدث جلبة مفاجئة، كما في الأحلامِ، ويرجع إلى نفسِه)

التلميذ: (يلتفتُ حولَه مذهولاً) هل كنتُ أحلُم (يشم رائحة الوردة) لا... لم يكن حلماً (يلتقط حقيبته ويمشي نحو صفِه) الآن سأواجهكم بخمسة، أنا، والملك، والملكة، والصبي (ويمد كفه) وهذهِ الوردة.

(سِتار)

هيثم بهنام بردى

قاص وروائي وكاتب أدب طفل

الاسم الكامل: هيثم بهنان جرجيس بردى.

- ولد في العراق/ عام ١٩٥٣.
- عضو اتحاد الأدباء العراقيين.
- عضو اتحاد الكتاب العرب.
- عضو نقابة الفنانين العراقيين.
- عضو فخري مدى الحياة في دار نعمان للثقافة اللبنانية.
- عضو المجلس المركزي للإتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.
- عضو المكتب التنفيدي للإتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.
- نائب الأمين العام للإتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق عن الثقافة السريانية.
- رئيس تحرير مجلة إنانا التي تعنى بشأن المرأة.
- أصدر الكتب التالية:

١. الغرفة ٢١٣/ رواية - مطبعة اسعد- بغداد١٩٨٧.
٢. حب مع وقف التنفيذ/ قصص قصيرة جداً – مطبعة شفيق- بغداد ١٩٨٩.
٣. الليلة الثانية بعد الألف/ قصص قصيرة جداً- منشورات مجلة نون- الموصل ١٩٩٥.

٤. عزلة انكيدو/ قصص قصيرة جداً- مطبعة نينوى- بغداد ٢٠٠٠.
٥. الوصية/ قصص قصيرة - دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة- بغداد ٢٠٠٢.
٦. الذي رأى الأعماق كلها/ كتاب انثيالات- مطبعة ميديا- أربيل ٢٠٠٧.
٧. مار بهنام وأخته سارة/ رواية- مركز أكد للطباعة والإعلان- عنكاوا- أربيل ٢٠٠٧.
٨. قديسو حدياب/ رواية- مركز أكد للطباعة والإعلان- عنكاوا- أربيل ٢٠٠٨.
٩. تليباثي/ قصص قصيرة- دار نعمان للثقافة- بيروت ٢٠٠٨.
- صدرت طبعتها الثانية عن دار الينابيع بدمشق عام ٢٠١٠.
١٠. التماهي/ قصص قصيرة جداً- دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة- بغداد ٢٠٠٨.
١١. قصاصون عراقيون سريان في مسيرة القصة العراقية/ إعداد وتقديم- إصدار المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية_ أربيل ٢٠٠٩.
- صدرت طبعتها الثانية عن دار رند – تموز للطباعة والنشر – دمشق ٢٠١٢.
١٢. القصة القصيرة جداً في العراق/ إعداد وتقديم- المديرية العامة لتربية نينوى- الموصل ٢٠١٠.
١٣. القصة القصيرة جداً/ الأعمال القصصية ١٩٨٩- ٢٠٠٨ / دار رند للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق ٢٠١١.
١٤. نهر ذو لحية بيضاء/ مجموعة قصصية/ دار رند للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق ٢٠١١.

١٥. سركون بولص عنقاء الشعر العراقي الحديث/ إعداد وتقديم- إصدار المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية_ أربيل ٢٠١١ .

١٦. قصاصون عراقيون سريان في مسيرة القصة العراقية القصيرة جداً/ دار رند – تموز للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق ٢٠١٢.

١٧. روائيون عراقيون سريان في مسيرة الرواية العراقية/ دار رند- تموز للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق ٢٠١٢.

١٨. أرض من عسل/ مجموعة قصصية/ دار الحوار للنشر والتوزيع- اللاذقية، سوريا ٢٠١٢.

- له في أدب الطفل الإصدارات التالية:

١. الحكيمة والصياد/ مسرحية للفتيان- مطبعة بيريفان- أربيل ٢٠٠٧.

٢. مع الجاحظ على بساط الريح/ سيرة قصصية للفتيان- دار رند للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق ٢٠١٠.

- صدرت عن أدبه الكتب التالية:

١. حبة الخردل/ دراسات نقدية عن تجربته في كتابة القصة القصيرة جداً- إعداد وتقديم: خالص ايشوع بربر، صدرت بطبعتين الأولى عام ٢٠٠٥، والثانية عام ٢٠١٠ عن دار رند للطباعة للنشر والتوزيع- دمشق.

٢. شعرية المكان في القصة القصيرة جداُ/ قراءة تحليلية في المجموعات القصصية"١٩٨٩- ٢٠٠٨" لهيثم بهنام بردى- د. نبهان حسون السعدون – دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠١٢، دمشق – سوريا.

٣. تجليات الفضاء السردي/ قراءات في سرديات هيثم بهنام بردى- إعداد وتقديم: أ.د محمد صابر عبيد – دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠١٢، دمشق – سوريا.

٤. أسماء في ذاكرة المدينة/ هيثم بهنام بردى –حوار: نمرود قاشا... اصدارات مجلة إنانا/ ٢٠١٢.

- ترجمت بعض قصصه إلى اللغة الإنكليزية والهولندية والفرنسية.
- ورد اسمه في كتاب (موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين- الجزء الثالث- صفحة ٢٨١) الصادر عن دار الشؤون الثقافية العامة عام ١٩٩٨ لمؤلفه الأستاذ حميد المطبعي.
- ورد اسمه في كتاب (موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين - صفحة ٦٠٠) الصادر عن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ جامعة الموصل – مركز دراسات الموصل- عام ٢٠٠٧، لمؤلفة الأستاذ الدكتور عمر الطالب.

- الجوائز:

١. حائز على جائزة ناجي نعمان الأدبية اللبنانية لعام ٢٠٠٦.
٢. حائز على الجائزة الأولى في مسابقة القصة القصيرة التي أقامتها دار الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة العراقية عام ٢٠٠٦ عن قصته القصيرة "النبض الأبدي".
٣. حائز على الجائزة الثانية في مسابقة وزارة الثقافة لمسابقة أدب الأطفال/ دار ثقافة الأطفال/ جائزة (عزي الوهاب للنص المسرحي) عام ٢٠١٠ عن مسرحيته الموسومة (العشبة).
٥. حائز على الجائزة الثانية في مسابقة القصة القصيرة التي أقامها قصر الثقافة والفنون في محافظة صلاح الدين عن قصته الموسومة (الرسالة).

الفهرست

- على سبيل التقديم/ م. د. فرح أدور حنا ٧
- نص المسرحية ٢٥
- السيرة الذاتية للمؤلف ٧٥